إدموند هوسرل، التأسيس لفكرة الفينومينولوجيا وإسهاماتها الهرمينوطيقية

Edmund Husserl, founding the idea of phenomenology and its hermeneutic contributions

د.أحمد ماريف*[1]

[1].جامعة محمد خيضر، بسكرة (الجزائر)، ahmed.marif@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2021/08/07 تاريخ القبول: 2021/09/30 تاريخ النشر: 2021/10/23

ملخص:

لقد اخذت كلمة فينومينولوجيا دلالات ومعاني متعددة ومختلفة، وهذا سواء مع مؤسس الفينومينولوجيا ذاتها الفيلسوف والرياضي الألماني ادموند هوسرل، أو مع الفلاسفة الذين أتوا بعده أو حتى ممن سبقوه، وهذا ما يدل على قيمة المفهوم وأهميته في ميدان البحث الفلسفي، من هنا تأتي هذه الورقة لتحاول أن توضح الدلالات والأبعاد التي أخذتها الفينومينولوجيا عبر الكشف عن مسار تشكلها وتكونها، خاصة مع إدموند هوسرل الذي سعى الى أن يؤسس من خلالها للعلم الكلي أو العلم الصارم، محاولا أن يجعل منها منهجا له خطواته وقواعده، لهذا تأتي هذه الورقة لتطرح مجموعة من الاسئلة سوف نحاول الإجابة عنها من خلال مسار هذا البحث.

كلمات مفتاحية: الفينومينولوجيا، المنهج الفينومينولوجي، الهرمينوطيقا، العلم الكلي، العلم الصارم.

Abstract:

In the field of philosophy, the word phenomenology is known to have myriad of meanings. This is traced back to the founder of phenomenology itself, the German philosopher and mathematician Edmund Husserl, and the philosophers who preceded him or came later. This is an indication of the value of the concept and its importance in the field of philosophical research. In order to clarify the connotations and dimensions that phenomenology has taken by revealing the path of its foundation and formation, especially with Edmund Husserl, who sought to establish through it a holistic and an exact science, attempting to turn it into an approach with steps and rules, hence, the importance of the present paper. The latter addresses a set of questions that will be answered through the course of the research.

Keywords: Phenomenology, phenomenological method, Hermeneutique , holistic science, science rigoureuse.

المؤلف المرسل

1. مقدمة:

سنحاول من خلال هذه الدراسة أن نبين طبيعة الفينومينولوجيا وطبيعة المنهج الفينومينوبوجي عند مؤسس الفينومينولوجيا إدموند هوسرل(1859-1938)، محاولين الكشف عن تلك الرغبة التي تملكت هوسرل بأن يؤسس للعلم الكلي والصارم، خاصة عندما نجد هوسرل يبين في مؤلّفيه "أزمة العلوم الأروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية"و"فكرة الفينومينولوجيا" أن الفلسفة بحاجة ضرورية الى منهج صارم ودقيق يتماشى وطبيعة الموضوعات التي تتناولها الفلسفة، هذا ما جعله يرى في الفينومينولوجيا كمنهج السبيل الوحيد لبلوغ تلك الصرامة المنشودة في ظل تعدد المذاهب والمناهج، فكان ينظر إليها على أنها موضوع ومنهج، فهي موضوع لأنها علم الظواهر أو علم دراسة الظواهر، ومنهج بحكم القواعد التي حددها هوسرل لقيام المنهج الفينومينولوجي، هذا ما جعله يرى في المنهج الفينومينولوجي بديلا عن المناهج الفلسفية الكلاسيكية خاصة المنهج التجريبي والمنهج العقلي، بحيث أن قيمة الفينومينولوجيا تكمل في قدرتها على التأسيس لمنهج جديد مختلف عن مناهج البحث في العلوم الطبيعية. محاولين في هذا السياق أن نكشف عن امتدادات البحث الفينومينولوجي خارج الفينومينولوجيا وبالتحديد علاقة الفينومينولوجيا بالهرمينوطيقا، محاولين الكشف عن طبيعة الهرمينوطيقا وعن الإسهام الذي أضافته فينومينولوجيا هوسرل الى ميدان البحث التأويلي (الهيرمينوطيقي).

وعليه نطرح الاشكالية التالية: ما هي الفينومينولوجيا عند ادموند هوسرل؟ وما هي أبرز الدلالات التي قدمت لهذا المصطلح؟ ما طبيعة المنهج الفينومينولوجي؟ وما هي أبعاده؟ وأين يمكن أن نعثر على إسهام الفينومينولوجيا في نظرية التأويل، خاصة الفينومينولوجيا في صيغتها الهوسرلية، أي مع إدموند هوسرل؟ بمعنى آخر ما الذي ستقدمه الفينومينولوجيا للهرمينوطيقا؟

وعليه قد تتمثلت أهداف هذا البحث في محاولتنا الكشف عن الدلالات المتعددة لمفهوم الفينومينولوجيا، مع إبراز حدود ومجالات البحث الفينومينولوجي، ومعرفة قدرة المنهج الفينومينولوجي على التأسيس للحقيقة وللمعرفة كما تصورها هوسرل، مع محاولة البحث في طبيعة العلاقة بين الفينومينولوجيا والهيرمينوطيقا، والسعي الى معرفة طبيعة هذه العلاقة وحدودها.

2. في تعدد دلالات ومعاني الفينومينولوجيا:

1.2 الفينومينولوجيا باعتبارها علما صارما:

إن الإغريق لم يحدثوا تفريقا بين العلم والفلسفة فكانوا ينظرون إليهما على أنهما الشيء عينه، وهذا منذ أفلاطون ورغبته في إقامة العلم الكلي، لكن وبعد إنشاء نظريات المعرفة ظهرت التوترات داخل الأنساق الفلسفية فصار العلم علما والفلسفة فلسفة، فظهرت النزعات الموضوعية والذاتية، فجاء المشروع الهوسرلي في هذه الظروف كمحاولة لمعاودة تأسيس حلم الأولين من الفلاسفة راغبا في قيام العلم الكلي، فأقام هوسرل الفينومينولوجيا باعتبارها علما صارما، وهذا في ظل كل تلك الظروف والتوترات التي احتدمت بين مختلف النزعات المعرفية خاصة العقلية والتجريبية، فكانت بهذا الفينومينولوجيا علم البدء الجديد حيث ستعاود طرح فكرة أصل الفلسفة، و هذا ما سيحدث وثبا نحو إقامة الفلسفة الأولى، وفي هذا المنحى نجد إدموند هوسرل يقول: **"أنا على يقين أن الفلسفة وعبر وسيط الثقافة الإنسانية بحاجة إلى أفكاري وإلى المناهج التي تمكنت من اكتشافها، ولقد تيقنت بأنه الطريق الوحيد الذي بإمكانه السير بنا إلى حضارة مؤمنة ومحمية من كل سيكولوجيا وصفية ومسلحة ضد السموم المدمرة، طبعا إن هذا سيكون إلا بدءا متواضعا لكنه على الرغم من ذلك سيكون بدءا"**[1]، ومنه فإنّ هوسرل مدرك لقيمة البدء الذي سوف تتفتحه الفينومينولوجيا حتى ولو كان هذا البدء بدءا متواضعا لكن له أهمية كبيرة في أن يكون بداية للتأسيس للمعرفة الحقيقية.

ولأجل تحديد طبيعة هذا البدء لابد أن نشير إلى بعض دلالات ومعاني الفينومينولوجيا، بحيث هي مصطلح قد استعمله الكثير من الفلاسفة قبل هوسرل، إذ نجد الفيلسوف الألماني "يوهان هاينريش لومبارت (1728-1777) " المعاصر لكانط هو أول من أشار إلى هذا المصطلح سنة 1764، وكان يشير بها إلى تلك المظاهر الخداعة في التجربة الإنسانية، وفي الفترة نفسها تقريبا نجد كانط إيمانويل (1724-1804) قد ميز بين الأشياء كما تبدو لنا أو المتعينة أمامنا و بين الأشياء في ذاتها.

أما هيغل (1770-1831) فقد أخذت الكلمة معه بعدا آخر حيث استخدمها في كتابه "فينومينولوجيا الروح" الذي درس فيه أشكال تطور الوعي من أبسطه إلى أعقده وأرفعه، ورأى أن مراحل تطور الوعي هي متجهة نحو المطلق أو نحو بلوغ المعرفة المطلقة، إلا أن معنى الفينومينولوجيا الذي أدخله إدموند هوسرل في القرن العشرين هو مختلف عن نظيره الهيغلي. ونجد الفيلسوف الأمريكي تشارلز ساندرس

بيرس استخدمها بمعنى الإدراك الخادع أو الخيالات والأحلام"[2]، هذا بخصوص استعمال كلمة الفينومينولوجيا وبعض دلالاتها السابقة عن هوسرل.

أما الفينومينولوجيا في معناها المحدد والأكثر تداولا فهي تشير إلى حركة أو مذهب فلسفي مؤسسه إدموند هوسرل و هي كلمة مشتقة من لفظ الظاهرة، **"فكل ما يظهر يظهر في خبرة عينية، و كل ما لا يظهر في خبرة أو تجربة من غير الممكن التصديق بوجوده، ولهذا فإن هدف الفينومينولوجيا فهو دراسة الخبرات قصد بلوغ ماهياتها أو عللها الجوهرية"**[3].

وفي المعجم الفلسفي الغربي هي لفظ مشتق من الظـاهرة "Phenoménon" والظاهرة تعني **"الحوادث الملاحظة بواسطة الحواس والتي تدور حولها المعرفة عامة"**، أما في المعجم العربي فهي كلمة مشتقة من ظهر، يظهر، ظهورا وتعني **"ما ظهر من الشيء وأن ظاهر الشيء يقابل باطنه"**[4]

أما هيغل كان هو الذي أضفى عليها صبغة نسقية في كتابه "فينومينولوجيا الروح" إذ كان يطلق هذا المصطلح على "علم تجربة الوعي"، إلى أن أتى هوسرل وقدم تصورا مختلفا تماما عن كل التصورات السابقة التي تناولت هذا المفهوم، حيث ستنشأ الفينومينولوجيا كما أشرنا في بداية هذا البحث باعتبارها علما صارما، أي بوصفها اكتشافا لطريقة جديدة في التفلسف. وبهذا ستأخذ طابعها المنهجي هوسرل الذي أعطى الصفة المنهجية لهذا المفهوم فأضحت ممارسة فكرية لها حدودها وإطارها التاريخي والمفاهيمي، وأورثها لخلفه من بعده خاصة منهم الفلاسفة الوجوديون أمثال هايدغر وسارتر وميرلوبونتي...الذين ساروا بها مضيفين ومعدلين نحو ممارسات جديدة عبّروا من خلالها عن انفتاح الفكر الفينومينولوجي الذي سيشمل جميع الميادين من فلسفة وعلم.

2.2 الفينومينولوجيا باعتبارها فلسفة أولى:

لقد مر تصور هوسرل للفينومينولوجيا بثلاثة مراحل، في أولها اهتم بالمشكلات الخاصة بالمنطق والرياضيات، والمرحلة الثانية والتي هي مرحلة "علم النفس الوصفي"، وهي التي كانت فيها الفينومينولوجيا **"تصلح إلى أن تكون علما وصفيا خالصا"**[5]، أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الفينومينولوجيا الترنسندنتالية التي حاول فيها هوسرل أن يجعل منها فلسفة أولى **"وهدف الفلسفة الأولى هو غاية ما وصلت إليه الفينومينولوجيا الترنسندنتالية من النضج، أن تكون صحيحة مرة واحدة وإلى الأبد"**[6]، هذا الحلم الهوسرلي في أن تكون الفينومينولوجيا فلسفة أولى راجع إلى تلك الظروف التي كانت فيها الفلسفة ممزقة بين نزعتين، نزعة وضعية علمية تنظر إلى الأشياء نظرة تجريبية (إمبريقية)، ونزعة عقلية، هذا ما جعل هوسرل يضع كل هذه الفلسفات أمام النقد الجذري

"Critique Radicale"، وسبب هذا النقد هو أن كل الفلسفات بنظره كانت تحمل زيفا، فكانت الفينومينولوجيا **"هي العلم بالنقد، نقد العقل بأشكاله، النظري، المعياري، العملي..."**[7]، ونجده يعرّف الفينومينولوجيا في كتاب الأبحاث المنطقية بأنها **"علم البحث المحايد الذي تنبت منه شتى العلوم"**[8]، أما في كتاب الفلسفة بوصفها علما دقيقا فيعرفها بقوله: **"هي علم البدايات الحقيقية أو علم الأصول...و العلم الذي يهتم بما هو جذري لا بد أن يكون من كل وجهة للنظر-جذريا هو نفسه في طريقة بحثه"**[9]، فهي منهج ينحصر في وصف الظاهرة أي وصف ما هو معطى من الظاهرة.

وانطلاقا من مبدأ المعطى أو الإنعطاء نقول أن الفينومينولوجيا تدرس ما يتجلى وما يظهر عن الظاهرة إذ ستكون **"بمثابة فلسفة الأصول المعتمدة و بصورة شبه كلية على أحد أهم مبادئها الذي سار بها نحو الفتح المبين المتمثل في الحدس العطائي المحض" والقائل بضرورة الالتفات أو العودة إلى الشيء عينه، المبدأ الذي سيرجع إليه كل فينومينولوجي قصد التمكن من إقامة وتدشين فينومينولوجيته الخاصة به والمميزة لفكره"**[10]، وهكذا فإن قاعدة التوجه إلى الأشياء ذاتها هي القاعدة الأولى والأساسية في المنهج الفينومينولوجي وكلمة "شيء" هنا تعني المعطى أي ما نراه أمام وعينا وهذا المعطى هو الظاهرة أي ما هو ظاهر أمام الوعي، والمعطى هو مرتبط بفكرة "الإنعطاء" أو "كيفيات الإنعطاء"، ولكي يتمكن الفينومينولوجي من توجيه الانتباه إلى كيفيات الإنعطاق يجب عليه أن يتوقف عن إنجاز الإعتقاد في وجود العالم والموضوعات، أي يجب عليه أن يضع كل شيء موضع شك، وهذه هي القاعدة الأولى من قواعد المنهج الفينومينولوجي، وهذا التوقف عن اتخاذ أي موقف إزاء العالم والموضوعات هو ما يسميه هوسرل ب"**الإبوخيه**"، وبهذا ستكون الفينومينولوجيا بحثا عن كيفيات إنعطاء الظواهر أي كيفيات قدومها إلى الوعي ومجيئها إليه، ومن هنا نتبين ملاحظة هامة وهي أن موضوع الفينومينولوجيا ليست الظواهر أي ليست الأشياء الماثلة أمامنا وأمام نظرنا، بل هو في الكيفية التي تظهر لنا من خلالها تلك الأشياء، فهي تسأل وتبحث فيما يجعل الظاهرة ظاهرة.

وقد عُرّفت الفينومينولوجيا أيضا بأنها "علم الماهيات"، وهذا التعريف يذكره هوسرل في كتابه الأفكار عندما يقول"يجب أن تكون محددة باعتبارها علما للماهيات، باعتبارها علما قبليا"[11]، لأن هوسرل كان قد وضع المحاضرة الثالثة من مجموع محاضراته التي نشرت تحت عنوان كتاب "فكرة الفينومينولوجيا" وحملت هذه المحاضرة عنوان **"المعرفة الفينومينولوجية بوصفها معرفة بالماهية"**[12]، وإدراك هذه الماهية من وجهة نظر هوسرل هو أساس قيام العلم الكلي والشامل الذي تعتمد عليه العلوم الأخرى لكي تستمد منها دقتها ويقينها، وهنا نكون قد رجعنا إلى التعريف الأول

للفينومينولوجيا وتحديدا إلى الحلم الهوسرلي في أن يجعل من الفينومينولوجيا علما كليا وأوليا وأن تصبح أساس كل المعارف الممكنة، فقد كان **"الهدف الجوهري للفينومينولوجيا عند هوسرل هو تأسيس العلم الكلي وتحويل الفلسفة إلى علم يقيني ودقيق للمعرفة الإنسانية"**[13].

ونجد هوسرل يقول في المحاضرة التي تحمل عنوان: "الفينومينولوجيا الخالصة" والتي ألقاها عام 1917: **"الفينومينولوجيا الخالصة هي علم الوعي الخالص (الشعور المحض) وهذا يعني أن الفينومينولوجيا الخالصة تعتمد على التأمل الخالص وحده، والتأمل الخالص يستبعد بوصفه تأملا خالصا كل نوع من الخبرة الخارجية"**[14]، وهكذا فإن الفينومينولوجيا رغم إختلاف تعاريفها وارتحالها من تعريف لآخر إلا أنها تبقى دلك العلم الكلي أو المنهج الذي يهتم بدراسة الظواهر في علاقتها المباشرة بالوعي، إلا أن السؤال عن معنى الفينومينولوجيا سيبقى سؤالا مفتوحا، حيث ستتأسس عدة فينومينولوجيات من بعد هوسرل بل سيورثها خلفه من بعده أمثال هايدغر من خلال تأسيسه "للفينومينولوجيا الهرمينوطيقية" وموريس ميرلوبونتي الذي سيعاود طرح سؤال الفينومينولوجيا في عمله "فينومينولوجيا الإدراك الحسي" إلا أن هذا السؤال لم تتم الإجابة عنه، لأن الفينومينولوجيا ليست فلسفة مطلقة، أو عملا جاهزا، وإنما تبقى منهجا مفتوحا، وباعتبار انها ستبقى منهجا مفتوحا فانه لا يمكننا الاشارة الى كل حيثيات البحث الفينومينولوجي الذي هو بحث يتجاوز حدود هذا العمل، ورغم ذلك حاولنا أن نشير الى مسارات تطور الفينومينولوجيا خاصة مع ادموند هوسرل، وهذه الاشارة الى مصطلح الفينومينولوجيا فرضتها الضرورة المنهجية التي ارتاينا من خلالها توضيح المفاهيم والمصطلحات حتى نستطيع ان نتبيّن ما اذا كان هناك تداخل بينها وبين غيرها من المفاهيم خاصة مفهوم الهرمينوطيقا، هذا ما يساعدنا من الولوج الى تحليل الاشكالية الرئيسية لهذا البحث.

3. إسهام الفينومينولوجيا في الهرمينوطيقا(هوسرل):

إن البحث عن إسهام الفينومينولوجيا في الهرمينوطيقا يدفعنا إلى تحديد مفهوم الهرمينوطيقا والكشف عن مراحل تطورها وكذا عن الدلالات التي أخذها هذا المفهوم، وهذا ما سنشير اليه في بداية هذا العنصر.

1.3 تعريف الهيرمينوطيقا:

ترجع جذور مصطلح "هرمينوطيقا" إلى الفعل اليوناني « hermeneuein » الذي يترجم عادة بالفعل يفسر، والاسم « hermenia » الذي يعني تفسير، ويبدو أن كليهما يتعلق بالإله هرمس رسول آلهة الأولمب الذي كان يتقن لغة الآلهة ويفهم ما يجول بخاطرها، فكانت وظيفته نقل مقاصد الآلهة إلى

البشر، فارتبط اسم هرمس بوظيفة أساسية تتمثل في ترجمة ما يتجاوز الفهم البشري أو الإنساني إلى شكل أو صورة يمكن للإنسان أن يدركها، ومن **"جهة الخصائص التي أوردها هوميروس في وصفه له، كونه الوحيد القادر على أن يعبر البون الفاصل بين الآلهة والبشر وينقل في لغة واضحة ومفهومة ما يجول في خاطر الالهة"**[15]، فالخصائص التي تميز هرمس لا تخرج في جوهرها عن خصائص الهرمينوطيقا التي تشير إلى التفسير الذي يكشف عن شيء متوار و مستُور داخل النص والذي عادة ما يعجز الفهم العادي عن بلوغه، والمفسر عند قراءته لنص ما يدرك أنه بمثابة الوسيط بين عالمين أحدهما عالم النص الغامض والمبهم، وثانيهما عالمنا الذي نعيش فيه، وهذه هي الوساطة ذاتها التي كان مكلف بها هرمس. لهذا كان الطابع المميز للتأويل في العصر اليوناني هو التفسير، حيث طبقّه اليونانيون بامتياز على الشعر واللغة والفلسفة إذ أخذت الهرمينوطيقا عند الإغريق ثلاثة دلالات: أولها التعبير، أي النطق والترجمة، وثانيها التأويل وهو المعنى الأكثر انتشارا واستخداما، ومعناه التفسير والإيضاح، وآخرها الترجمة التي مفادها نقل الألفاظ وتعويضها من لسان إلى اخر.

2.3 شلاير ماخر والتأسيس لهرمينوطيقا الفهم:

إنّ مصطلح الهرمينوطيقا لم يستقر على حال واحد بل سيأخذ في التطور والتجدد من فترة إلى أخرى فنجده قد اقترن في العصور الوسطى بعلم اللاهوت للدلالة على **"فن تأويل النصوص وترجمة الكتاب المقدس بدقة"**[16] الذي يعد أوغسطين أحد أهم أباء الكنيسة و مؤوليها، و مع ظهور حركة الإصلاح الديني مع "مارثن لوثر" عرفت الهرمينوطيقا انطلاقة جديدة حيث سيركز مارثن لوثر على المعنى الحرفي والظاهر للنص الديني، أما في عصر الأنوار فقد كانت لعبارة رونيه ديكارت(1597م-1650م) "أنا أفكر أنا موجود" أثرها الحاسم في ترسيخ الإيمان بقدرة العقل على الفهم دون معُونة الإله إذ **"يمكننا الآن ومن خلال تفكيرنا المستقل عن الله أن نفسّر ونعرف أنفسنا ونعرف وجودنا والعالم الذي نعيش فيه"**[17]، وبهذا فقد وضع ديكارت حدا فاصلا بين الإيمان والعقل، وكان بالتالي غرض القراءة في نظره هو بلوغ الفهم الكامل بواسطة العقل لا الإيمان.

إلاّ أن الهرمينوطيقا لم تعرف تحولها و طفرتها إلا بمجيء شلاير ماخر(1768-1834) الذي يمكن وصف ما أحدثه بالانقلاب الكوبرنيكي وهذا عندما قدم سؤاله الهام **ما الفهم**؟ فإليه يرجع الفضل في تحرير الهرمينوطيقا من كل العناصر العقائدية والدينية، حيث سيتصور الهرمينوطيقا باعتبارها فنا للفهم، وهذا ما جعله يُعتبر من أوائل الهرمينوطيقيين الذين أسسوا الهرمينوطيقا الحقّة حيث قبله كان هناك

خلط بين الممارسة التأويلية و التفسيرية. إذ **"يعزى إلى شلاير ماخر أنه أعاد تصور الهرمينوطيقا على أنها علم "الفهم" أو فن "الفهم" "**[18].

ومن هرمينوطيقا شلاير ماخر العامة اتخذ دلتاي (1833-1911) قاعدة انطلق منها لبلورة معالم هرمينوطيقاه، إذ ارتكز فكره على نقد النظرة التي ترى في طرق التفكير الخاصة بالعلوم الطبيعية النموذج الأمثل الذي ينبغي أن تبنى عليه العلوم الإنسانية التي لا يمكن في نظره تفسيرها بمناهج العلوم الطبيعية، وهنا ستكون له مواجهة مع النزعة الوضعية، فكان يؤكد على أن العلوم الإنسانية أو علوم الفكر لا يمكن تفسيرها بمناهج العلوم الطبيعية، وهذا ما جعله يسعى إلى خلق منهج خاص بعلوم الفكر يكون مخالفا لعلوم الطبيعة.

ثم بعد شلاير ماخر وفلهام دلثاي سيأتي عَلَمٌ آخر من أعلام الفلسفة عموما والهرمينوطيقا خصوصا والذي هو مارتن هايدغر، الذي ستشهد معه الهرمينوطيقا قفزة جديدة إذ سترتبط بالفلسفة و خاصة الفينومينولوجيا، لأنه سيؤسس الهرمينوطيقا **"على أساس فلسفي و الفلسفة على أساس هرمينوطيقي ...لأن الفلسفة هي فهم الوجود و الفهم هو أساس الفلسفة وجوهر الوجود"**[19]

انطلاقا مما سبق ذكره نقول أنه لا تزال قضايا الفينومينولوجيا والهرمينوطيقا تطرح الكثير من الإشكاليات الجديدة و الرؤى المتنوعة نظرا للمسائل التي أثارتها عبر مسار تاريخهما المعرفي، فإذا كانت الفينومينولوجيا قد حاولت فهم الظواهر، فإن الهرمينوطيقا باعتبارها فنا للتأويل قد انصب اهتمامها على اشكالية وجود الفهم أي كينونته كتصور فينومينولوجي يراعي تصور خصوصية الكائن وانفتاحه على ذاته وعلى الوجود.

4 الهرمينوطيقا والفينومينولوجيا، حدود العلاقة والإمكان:

1.4 دور الفينومينولوجيا في بناء الأفق التأويلي للفكر:

يقول بول ريكور عن هذه العلاقة أنّ مساهمة هوسرل في الهرمينوطيقا هي مساهمة مزدوجة "فمن جهة نجد أنّ نقد "المذهبية الموضوعية" في المرحلة الأخيرة من مراحل الظاهراتية، قد اتجه إلى نتائجها، ويخص هذا النقد للمذهبية الموضوعية المشكل التأويلي. ولم يكن هذا بشكل غير مباشر فقط...ولكن بشكل مباشر لأنه يشكك بمشروع دلتاي بتزويد العلوم الروحية بمنهج يعادل في موضوعيته منهج علوم الطبيعة. ومن جهة أخرى فإن ظاهرية هوسرل الأخيرة تمفصل نقدها للمذهبية على إشكالية إيجابية تشق طريقا لأنطولوجيا الفهم. وموضوع هذه الإشكالية هو عالم الحياة"[20]، وعليه فإنّ النظر إلى العلاقات الممكنة بين الهرمينوطيقا والفينومينولوجيا قد استقر في بعض وجوهه على البحث عن إسهام هوسرل في بناء الأفق التأويلي للفكر، هذا الإسهام الذي جعل لهوسرل موطئ قدم في التراث التأويلي المعاصر، ومن هنا "فإن الهرمينوطيقا وجدت في الفينومينولوجيا المصدر المعرفي

والأساس المنهجي الذي به كسرت طوق المنظومة الثيولوجية التي صاحبت تشكل نظرية الهرمينوطيقا، إذ بها (أي بالفبنومينولوجيا) انتقلت من ضيق الفكر الجاهزي الذي يرى إلى الممارسة التأويلية كوسيلة لاستخراج المعاني الدينية البادية في ظاهر الكتاب المقدس أو المتوارية خلف المعنى الحرفي إلى رحابة الوجود حيث وطن الكائن و مسكن الفهم، كما أن الهرمينوطيقا بالمقابل انتشلت الفينومينولوجيا من سلطة التعالي و أوهام المثالية التي قامت عليها في أصل وضعها، وأدخلتها في مجال تأويل الوجود من خلال البحث عن المعنى المقصود من قبل الشعور فتحول الباحث في ميدانها من كائن تأملي إلى كائن تأويلي"[21]. من خلال هذا التصريح يظهر لنا كيف أن الفينومينولوجيا قد عملت على تحرير الهرمينوطيقا من تلك الرؤى الثيولوجية التي عملت على الاكتفاء بالتأويل الظاهر للنصوص الدينية ونقلها إلى ما وراء النص أي إلى ذلك المعنى الخفي والمتواري خلف المعنى الحرفي وهذا بالعودة إلى ما قبل الفهم أي الشعور.

فكانت بهذا تعني الفينومينولوجيا في إطارها الفلسفي تحديد بنية الظواهر وشروطها واتصالها المباشر بالوعي، ساعية إلى إضفاء المعنى على الظواهر فيتشكل المعنى من خلال توجه الوعي اتجاه موضوعه، وهذا ما يسميه هوسرل ب: "القصدية" التي هي بمثابة الرابط بين الوعي والظاهرة، لأن الوعي هو دائما وعي بشيء ما، والقصد هو توجه الوعي نحو موضوعه فلا وجود للأنا المفكرة دون الموضوع المفَكّر فيه، لأن الوعي بالموضوع يعني إدراك معناه وماهيته، سواء أكان إدراكا حسيا تجريبيا أو إدراكا حدسيا ماهويا، فلا وجود لعالم الأشياء خارج الوعي، أي هو عالم يفقد معناه خارج الوعي حيث لا يوجد موضوع خارج الذات أو دون ذات "فلا يمكن النظر إلى الموضوعات على أنها أشياء في ذاتها، بشكل يجعلها مستقلة استقلالا مطلقا عن الوعي، أو لها وجود خارجي قبلي، وإنما هي أشياء مقصودة من قبل الوعي، فكل وعي هو دائما وعي بشيء ما"[22] و هذا الارتباط بين الوعي و الموضوع يكون من خلال قاعدة التوجه إلى الأشياء ذاتها، وبفضل هذا المبدأ أخذ هوسرل يشق لنفسه طريقا مغايرا ومختلفا عن الطريق الذي سلكته النزعة الطبيعية التي ترى أنه لا وجود إلا للطبيعة أي أن الحقيقة هي ما نشاهده في عالم الحس والتجربة.

ونجد بول ريكور يتحدث عن **إمكانية زرع الهرمينوطيقا في الفينومينولوجيا** عندما يصرح "إنني لن أتردد في القول إذن يجب على الهرمينوطيقا أن تتطعّم بالظاهراتية..."[23]، وهذا القول تصريح بإمكانية الجمع بينهما إذ أنه "في مقابل الهرمينوطيقا التي تعلّمنا بأنه لا وجود لفهم للذات لا يكون متوسطا بعلامات ورموز ونصوص. هناك فينومينولوجيا هوسرل التي يحركها من ناحية حلم الفلسفة التأملية في التأسيس الذاتي الجدري، والتي تتصف من ناحية أخرى باكتشاف القصدية التي تحيل إلى أولوية

الوعي بشيء ما على الوعي بالذات"[24]، "فبين الظاهراتية والهرمينوطيقا انتماء متبادل...تقوم الهرمينوطيقا على أساس الظاهراتية وهكذا تحتفظ بما تريد، مع ذلك أن تبتعد عنه: بهذا تبقى الظاهراتية افتراض الهرمينوطيقا المتعذر تجاوزه، كما لا يمكن للظاهراتية من جهة ثانية أن تؤسس نفسها دون افتراض هرمينوطيقي"[25]، وفي هذا علينا ان نتوقف قليلا عند التقليد الفلسفي الذي ينتمي اليه ريكور مع الإشارة الى أهم ملامح هذا التقليد، إذ يقول "ماهي الافتراضات المميزة للتقليد الفلسفي الذي أقر بانتمائي إليه؟...أود أن اميّز التقليد الفلسفي الذي أنتمي إليه بثلاثة ملامح: إنه يندرج ضمن فلسفة تأملية، ويبقى في منطقة الظاهراتية الهوسرلية، ويريد أن يكون أحد المغايرات الهرمينوطيقية لهذه الفينومينولوجيا"[26]، ويقصد بول ريكور بالفلسفة التأملية "صيغة التفكير المنحدرة من الكوجيتو الديكارتي عبر كانط وفلسفة مابعد كانط الفرنسية غير المعروفة كثيرا في الخارج والتي كان جون نبير هو مفكرها الأكثر تأثيرا، والمعضلات الفلسفية التي تعتبرها فلسفة تأملية ما المعضلات الأكثر جذرية، هي تلك المتصلة بإمكانية فهم الذات بوصفها ذاتا فاعلة لعمليات المعرفة، والإرادة،....والتفكير التأملي هو فعل العودة إلى الذات الذي من خلاله تمسك الذات الفاعلة، من جديد وداخل الوضوح العقلي والمسؤولية الأخلاقية، بالمبدأ الموحد للعمليات التي تتشتت داخلها وتنسى نفسها بوصفها ذاتا فاعلة، يقول كانط "أنا أفكر" يجب أن تصاحب جميع تمثيلاتي، وفي هذه الصيغة تتعرف جميع الفلسفات التأملية على نفسها، لكن كيف تعرف "أنا أفكر" نفسها، أو تتعرف بذاتها على نفسها؟ على هذا المستوى تمثل الظاهراتية_وأكثر منها الهرمينوطيقا_إنجازا وتحويلا جذريا في ان لبرنامج الفلسفة التأملية ذاته. والواقع أن فكرة التأمل ترتبط بها الرغبة في شفافية مطلقة وفي تطابق تام للنفس مع الذات نفسها بحيث يجعل من وعي الذات معرفة أكيدة، بهذه الصفة، أكثر جوهرية من جميع المعارف الوضعية. وهذا المطلب الأساسي هو الذي ما انفكت الظاهراتية أولا ثم الهرمينوطيقا تاليا، تحملانه إلى افق أكثر بعدا على الدوام"[27]

وعليه فإن الفينومينولوجيا هي من ناحية تتعلق بالفلسفة التأملية وهذا عبر إقرارها أن المحايثة للذات لا ريب فيها، و لكنها من ناحية أخرى تنتمي إلى الهرمينوطيقا من خلال طرحها لمسألة المعنى المقصود من طرف الشعور، وهكذا فإنها تنفتح على الهرمينوطيقا لأنها تتشكل كمثالية بمعنى جديد "مثالية تتخلى عن كل موقع لكائن بذاته لتثبث على العكس بأن الكائن ليس إلا ولا يمكن أن يكون غير كائن مؤوّل"[28]، أي مؤوّل ومفسّر وشارح لما يظهر عن الظاهرة ولما لا يظهر، وأيضا هو كائن مؤوّل

ومفسر وشارح لمختلف ظواهر الوعي في علاقاته بمختلف الموضوعات الخارجية و الباطينية أي الذاتية التي قد لا تظهر للعيان بالشكل الحسي.

لهذا يحاول بول ريكور أن يوضح كيف تنشأ الهرمينوطيقا داخل الفينومينولوجيا، وهذا رغم أن الهرمينوطيقا قد يبدو بعيدة عن التقليد التأملي وعن الظاهراتية، خاصة وأنها قد ولدت في عهد شلاير ماخر، "نتيجة لانصهار تفسير الثوراة بفقه اللغة الكلاسيكي وبأحكام القضاء، وهذا الانصهار بين شُعب معرفية متعددة استطاع ان يتم بفضل انقلاب كوبرنيكي قدم سؤال ما الفهم؟ على سؤال معنى هذا النص، أو ذاك، أو معنى هذه الفئة من النصوص أو تلك، هذا البحث عن الفهم هو الذي أدى بعد قرن من الزمن إلى الالتقاء بالسؤال الظاهراتي بامتياز"[29]، هذا ما يبين لنا طبيعة الالتقاء بين الفينومينولوجيا والهرمينوطيقا، فسؤال الفهم هو سؤال فينومينولوجي وسؤال هرمينوطيقي بامتياز، رغم أنّ الهرمينوطيقا قد استمرت في طرح انشغالات مغايرة لانشغالات الفينومينولوجيا، بحيث ادا كانت الظاهراتية تطرح سؤال المعنى في بعده المعرفي والادراكي، فإن الهرمينوطيقا كانت تطرحه ومنذ دلتاي في أبعاد التاريخ والعلوم الإنسانية "إلا أنه كان من الجهتين نفس السؤال الأساسي عن العلاقة بين المعنى والذات، بين معقولية الأول وتأملية الثاني"[30]، ومنه فإن الفنومينولوجيا لا تستطيع أن تؤسس نفسها دون افتراض هرمينوطيقي.

فرغم الاختلاف في ظروف نشأة كل من الهرمينوطيقا والفينومينولوجيا "إلاّ أنّ كلّا منهما كان يبحث عن العلاقة بين الذات والموضوع، ومن ثمّ، ليس عجيبا أن نفهم كيف تسنّى للهرمينوطيقا أن تنزرع داحل الفينومينولوجيا"، وهذا هو جوهر التباين والتداخل بين الفينومينولوجيا والهرمينوطيقا، لهذا يذهب بول ريكور الى "أنّ الفينومينولوجيا تبقى افتراض الهرمينوطيقا المتعذر تجاوزه، كما لا يمكن للفينومينولوجيا، من جهة أخرى، أن تبني نفسها دون افتراض هرمينوطيقي"[31]، وهذه العلاقة بين الذات والموضوع تحدث نوعا من التضايف الذي هو بمثابة محاولة لإدراك المعنى والكشف عنه.

والهرمينوطيقا زيادة على اعتبارها فنا للتأويل فإنها قد اعتبرت مع شلاير ماخر ودلتاي فرع منهجي وفلسفي متعارض مع العلوم الطبيعية مهمتها التمييز بين الظواهر الطبيعية والظواهر الإنسانية معتمدة على أسلوب الفهم والتأويل، وهكذا تأسست الهرمينوطيقا ذات التوجه الفينومينولوجي مع ماخر و دلتاي من خلال تركيزهما على المعنى والتجربة المعاشة للذات و هذا ما أكدت عليه أيضا الفينومينولوجيا مع هوسرل خاصة من خلال طرحها لفكرة التجربة المعاشة، كون أن مقولات التجربة المعاشة وعالم الحياة النفسية التي وظفها فلهام دلتاي في قراءته لظاهرة الفهم وجدت صداها النظري

عند إدموند هوسرل، رغم نفوره من القراءة التأويلية الهرمينوطيقية للنصوص كما يؤكد "جون غراندان"، لأن التأويل في نظر هوسرل ليس علما صارما، "فإذا كان هوسرل قد أسهم في مبحث الهرمينوطيقا فقد فعل ذلك دون رضا منه، فقد كانت له حساسية مضاعفة اتجاه أي فكر يمكن وصفه بأنه فكر هرمينوطيقي"[32]. و هذا النفور من التأويل راجع إلى اعتقاد هوسرل أن إدراك الأشياء هو من نشاط الرؤية وليس الخطاب، لأن الفينومينولوجيا الخالصة هي رؤية حدسية تستهدف جوهر الشيء، لهذا أدرك هوسرل وحاول أن يشير إلى أن الخطاب حول الشيء لا يعني أننا ندرك هذا الشيء، فما يهم هوسرل هو الظاهرة الأصلية كما هي معطاة للرؤية والوعي منذ أول وهلة، وتأويل الظاهرة هو مجرد خطاب يزيد من احتجابها وغموضها، فكان هدف الفينومينولوجيا شيئا يحدث لنا و ليس شيئا نفعله.

وانطلاقا من هذا الفهم "لم تكن الفينومينولوجيا الهوسرلية منغلقة على المجال التأويلي، فكل موجود في نظرها هو موجود مؤوّل"[33]، وليس من الممكن أن نمارس التأويل دون فهم البنية الأنطولوجية للموجد وهذا ما يؤكد عليه هايدغر، باعتبار أنّ الدزاين هو الكائن الوحيد الذي يملك ملكة الفهم والتي هي أيضا خاصيته، فما يشكل محور اهتمام الفينومينولوجيا ليس التأويلات القائمة حول الظواهر وإنما الظواهر ذاتها. إذ أن هوسرل لا يلغي أو يرفض التأويل إذا كان الهدف من تأويل الظواهر هو الوصول إلى ماهيتها بشكل أفضل وهذا من خلال التأويلات القصدية التي تمكننا من التعرف على ما هو ماهوي في الظاهرة، وعلى هذا انتقد: "ربط فينومينولوجيته بهرمينوطيقا تتلخص مهمتها الرئيسية في إظهار أن الظواهر الأساسية كانت مموهة تنتظر إلقاء الضوء عليها أو إضاءتها(أو في انتظار تفسير أو شرح وجودي تاريخي)"[34]، من خلال هذا القول يبدو ان هوسرل لا يرفض الهرمينوطيقا التي تهدف الى الوصول الى ماهيات الظواهر والموضوعات، وهذا بالارتكاز على مبدأ القصدية، بل هو ينتقد ويرفض الهرمينوطيقا التي تقتصر وظيفتها ومهمتها في القول بأن الظواهر كانت مموهة وتكتفي بتقديم شرح تاريخي لها وفقط، وهذا ما أعابه هوسرل على الهرمينوطيقا، حتى ولو انه لم يرفضها كلية كما أشرنا الى ذلك من قبل.

2.4 القصدية وبناء المعنى:

"القصدية هي المفهوم الذي جعل منه هوسرل المنطلق والقاعدة الضرورية لكل بدء فينومينولوجي، لأنها هي التي تميّز الوعي وتسمح بمعالجة كل تدفق معيشي باعتباره تدفق للوعي"[35]، وهي تؤكد على عدم وجود فكر خالص بمعزل عن الموضوعات الخارجية، وفي معناها الدقيق تعني "أن فعل استهداف

شي ما، لا يتحقق هو ذاته إلا من خلال الوحدة القابلة للتمييز وإعادة التمييز للمعنى المقصود..."[36]، فإضافة إلى أنها قصد وتوجه وهدف، فإن هذا القصد وهذا التوجه والهدف يمثل الآخر بالنسبة لها، فهو المقصود والمتوجه إليه، فهي انفتاح على هذا الآخر وليست هدفا أو قصدا لذاتها، "مما يعني أن هناك ثحايثا بين القصد وبين ما هو مقصود...إذ أن هناك توترا دائما بين ما يهدف إليه الشعور وبين المقصود ذاته، ذلك المعنى الذي يتجاوز الشعور القائم بين الذوات. ثم إن هذا الثوتر الموجود بين المعنى المقصود والمعنى في حد ذاته يستحق في الواقع أن يطلق عليه اسم هرمينوطيقا"[37]، ولهذا استحقت الفينومينولوجيا أن يطلق عليها بامتياز فلسفة في المعنى، فموضوع القصد يقوم دائما بتشكيل المعنى بالتشارك مع الموضوع المقصود، فهوسرل ومن خلال توجيهه للفينومينولوجيا نحو ظاهرة القصدية يكون قد ولج الهرمينوطيقا من بابها الواسع"[38]، لأنّ "كل خبرة قصدية لديها معنى تتصل من خلاله بالموضوع"[39]، وبالتالي يكون القصد هو الرابط الأساسي بين الذات والموضوع.

وبهذا يبدو ان اسهام الفينومينولوجيا في الهرمينوطيقا قد تجلى من خلال طرح هوسرل لسؤال المعنى، وهو سؤال يسعى الى الكشف عن الحقيقة وغاية التأويل هي ادراك هذه الحقيقة التي تعددت قراءاتها واختلفت منابع انبثاقها، فلم تعد بذلك الحقيقة واحدة وبالتالي المعنى لم يعد ثابثا بل متعددا ومتغيرا وهذا بتغير الذوات والموضوعات، أي الذات المؤولة والموضوع المؤوّل، وسؤال الذات والموضوع هو من مرتكزات الفينومينولوجيا، وعليه فان الفينومينولوجيا قد اسهمت سواء بقصد من مؤسسها أو بغير قصد منه في ميدان البحث الهرمينوطيقي، "لأن جوهر السؤال الفينومينولوجي هو أنه سؤالا إمكانيا"[40]، مايعني أنه يحمل التعدد، ويحمل التناقض، كما أنه يحمل الامكان واللاإمكان، وعليه حقيقته قد تكون متعددة.

"فالمهم بالنسبة لهوسرل هو مباشرتنا لعملية التفكير انطلاقا من الاشياء ذاتها...إن العودة إلى الاشياء ذاتها تصبح بمثابة العودة إلى القصدية التي تقوم بتوليد الواقعي من الشعور، ثم إن البحث عن المعنى المستتر خلف الأشياء ومساءلة القصدية الكامنة خلف الجزء الظاهر من الظواهر مهمة معقدة تستحق أن تنعت بأنها هرمينوطيقية"[41]، وهي كدلك لأن هوسرل عندما يرفع شعار العودة الى الاشياء ذاتها فهو يعتبر الموضوعات اشياء تامة في ذاتها، ومادامت تامة في ذاتها يجب ان تُفسر وتُؤول بمعزل عن الذات وبمعزل عن مختلف التأثيرات الخارجية، وبالتالي فإن الهدف من الفينومينولوجيا هو ادراك النص (الموضوع) على حقيقته وكما هو في أصله.

و حتى في تطبيقات هوسرل الفينومينولوجية على ميدان الأدب و بتأثير فلسفته عن القصدية كان يرى أن النص الأدبي يحركه قصد مبدعه "فوحدة الخطاب تتوافق مع وحدة القصد وأشكال وتمفصلات الخطاب تتوافق مع أشكال تمفصلات القصد...إننا حينما نتكلم نمارس قصدا داخليا يظهر في الكلمات وينشطها"[42]، ومن هذا المنطلق فقد كان هوسرل ينظر إلى عملية الفهم تماما مثل دلتاي باعتبارها "السيرورة التي بواسطتها نعرف البواطن الداخلية انطلاقا من العلامات الخارجية الملموسة"[43]، فالنص الأدبي هو تجسيد لمظاهر العالم و الحياة كما تجلت في ذهن ووعي المؤلف، وعليه سوف يكون المعنى في النص واحدا وهو في تطابق تام مع الموضوع الذهني الذي يحمله المؤلف في عقله أو يقصده في الكتابة فالعمل الأدبي ليس واقعا موضوعيا وإنما هو عمل الحياة، أي العالم كما تخبره كل ذات فردية، لهذا فهم النص كان يعني فهم الطريقة التي أدرك بها المؤلف الموضوعات الخارجية وإدراك العلاقة التي هي بينه وبين الاخرين، لكن كيف ننفد إلى وعي الكاتب ذاته؟

للنفاد إلى وعي الكاتب كان هوسرل يطالب المفسر بأن يعلق كل تجاربه الشخصية وأن يتحرر من ميولاته الخاصة وأن يعيد إنتاج ما يجده في النص بصورة دقيقة قدر الإمكان وغير متحيزة، كما أنه يكون مطالبا بتوضيح ما يحياه المؤلف، لكن بهذا يكون هوسرل قد تجاهل السياق التاريخي للنص الأدبي والشروط أو ظروف إنتاجه وكذا قراءته، وكل هذا سعيا منه إلى قراءة النص قراءة محايدة غير متأثرة بأي شيء خارجها.

من هنا نستطيع أن نتبيّن ارتبطت الفينومينولوجيا بفن التأويل، وهذا من خلال أحد أهم مبادئها وأسس قيامها والتي هي القصدية، المستقاة من فكر العالم النفساني فرانس برانتانو، التي تقوم على مبدأ العودة إلى الأشياء ذاتها، فكان الفكر الفينومينولوجي فكر النشوء وإضفاء الصور والمعاني، كما أنه فكر التأسيس الذي يعبر عن العودة إلى الشيء نفسه وتحديدا إلى ماهيته وجوهره، فكانت القصدية هي صلب الالتحام بين الهرمينوطيقا والفينومينولوجيا، لأن هذه الأخيرة وضعت القواعد الأولية لمفهوم أفق المعنى كما يراه أو يدركه الوعي القصدي "إذ أن القصدية هي بالضرورة توثر ينبلج من الذات باتجاه المعنى وعند هذا الحد تكتمل الوحدة بين الفينومينولوجيا والهرمينوطيقا، فالعودة إلى الشيء ذاته التي تعني القصدية بمعنى من المعاني تجد نفسها أمام معطى هو ذاته وجهة المعنى، أمام لغة تحيل هي بدورها إلى لغة أخرى"[44]، فهوسرل من خلال توجهه للفينومينولوجيا نحو ظاهرة القصدية يكون قد ولج الهرمينوطيقا من بابها الواسع.

و عليه كانت القصدية إحدى أهم المبادئ التي مكنت هوسرل من الولوج إلى الهرمينوطيقا من خلال طرحها لمسألة المعنى والتجربة المعيش، خاصة عندما يصرح هوسرل أنّ "كل أنا يعيش تجاربه المعيشية فيكون فيها سجينا فعليا وقصديا بشتى الكيفيات...وهو يستوعبها بصورة التجربة المحايثة أو أي حدس أو تصوّر محايث اخر"[45]، فكل تجربة معيشة هي تجربة قصدية والذات تستوعبها بأي طريقة ممكنة سواء بتجربة محايثة أو بتصور محايث، "كل تجربة معيشة عيشت فعلا تتجدد في كل حالة فتدخل في النظر المتفكر بوصفها قد عيشت فعلا وبوصفها الان موجودة"[46] وهذا معناه حتى التجارب المعاشة في الماضي يمكن استحضارها وجعلها موضع لفعل القصد، وأكثر من هذا يمكن للوعي استحضارها كأنها موجودة في اللحظة ذاتها، لأن "كل معيش عقلي، وكل معيش بعامة حين إنجازه بإمكانه أن يصير موضوعا لرؤية ولأخذ خالصين..."[47]، فكانت بهذا الفينومينولوجيا بحق فلسفة في المعنى استطاعت أن تحدث تحولا كبيرا في مسار الفكر والفلسفة الغربيين وتوجّههما نحو وجهة جديدة وهرمينوطيقا من نوع خاص، وهذا ما سيُباشره هايدغر و من بعده هانز جورج غادامير على وجه الخصوص، إذ أن "الكشوفات الكبيرة التي حققها هوسرل منذ منعطف القرن الماضي في كتابه الرئيس لم تيسر فحسب استمرار الفينومينولوجيا المقبلة بوصفها تأويلات مختلفة على قاعدة غير القاعدة الأولية التي ارتآها وإنما هي قد مكنته من جملة المفاتيح السرية التي شأنها أن تُيسّر التحول التدريجي للفلسفة الفينومينولوجية الأولى نحو تأويلية من نوع خاص"[48].

3-4 الإيبوخيه أو نظرية تعليق الحكم:

إن الإيبوخيه أو نظرية تعليق الحكم تعني "أن نضع بين قوسين كل ما يرتبط بماهية الموقف الطبيعي، بالنظر إلى طبيعة الوجود، أي هذا العالم الطبيعي كله والذي هو حاضر أمامنا وفي متناولنا، والذي سيبقى للأبد عالماً من الوقائع... وهكذا أعزل كل العلوم التي تتعلق بهذا العالم الطبيعي، ولا أستخدم معاييرها ولا أية قضية من قضاياها في نسقي"[49]، وعليه فإن الفينومينولوجيا ومن خلال عزلها للظواهر عن التصورات الماضية والتاريخية والأحكام المسبقة ودعوتها إلى التوقف عن إصدار الأحكام أو ما يعرف "بالإيبوخيه" تكون قد قامت بإجراء منهجي سمح لها بالانتقال من الموقف الطبيعي الى الموقف الفلسفي المتعالي، ومن جهة أخرى فإن دعوتها إلى تحليل الظواهر كما تعيشها الذات المتعالية أي في علاقتها المباشرة بالوعي، تكون قد أعطت للظواهر باعتبارها نصوصا فرصة التعبير عن وجودها وكينونتها، وهذا عبر القصدية المتبادلة التي يتوجه بموجبها الموضوع إلى الذات والذات إلى الموضوع. وبناء على هذه العلاقة القصدية تصبح الحقيقة غير مستقلة عن الذات، بحيث سيكرس هوسرل مركزية الذات التي

كان قد بدأ ديكارت مسيرتها، فقد كان مدخل هوسرل إلى الفينومينولوجيا من خلال الأنا الديكارتي وكذا فكرة الشك الديكارتية التي ستتحول إلى مقولة التعليق أو الوضع بين أقواس، رغم أننا نجد هوسرل "يميّز بين استعماله للإبوخيه والشك الديكارتي، مصرحا بأوجه تشابه عديدة بينهما، حتى أنه نظر إلى الإبوخيه على أنه استئناف واستكمال للشك المنهجي عند ديكارت بطريقة راديكالية..."[50]، وبالتالي تعطيل مهمة كل الفلسفات السابقة، وهنا تكمل قيمة وأهمية هذه الخطوة التي يقوم عليها المنهج الفينومينولوجي، وقد بدأ هوسرل استخدام الايبوخيه بصورتها الأولية في "أبحاث منطقية" ثم ستظهر بصورة كلية ومكتملة في كتاب "الأفكار" وهذا انطلاقا من فكرة الشك الديكارتي، حيث يقول في كتابه أفكار ممهدة لعلم الظاهريات الخالص"إن محاولته[أي محاولة ديكارت] للشك الكلي هي في الحقيقة محاولة للنفي الكلّي، ونحن نتجرّد من ذلك كله...بل نحن نقتصر على استخراج ظاهرة **"الوضع بين قوسين" أو "العزل"** ... وفي علاقتنا بتلك الأطروحة يمكننا وبكل حرية القيام برفع الحكم الحقيقي هذا Epochè أن نحقق عزلا معينا للحكم يلائم الحقيقة ملائمة لا تتزحزح ولا تقبل الزحزحة"[51]، وعليه فإن التوقف عن إصدار الحكم والتعليق بين الأقواس هو عمل هرمينوطيقي بطريقة أو بأخرى حتى ولو أن البعض قد يعترض عليه، وهذا التوقف هو من وجهة النظر التأويلية بمثابة ترك النص يظهر كما هو، وفي طبيعته المنعزلة عن الموضوعات الخارجية التي قد تؤثر عليه، أو تؤثر فيه.

4.4 الحدس المقولي باعتباره حدسا كليا:

إضافة إلى مبدأي القصدية والتعليق[تعليق الحكم]، فإن فينومينولوجيا هوسرل تمدنا بمعطى اخر والذي هو الحدس، وتحديدا الحدس المقولي، إذ وبعد تأسيس هوسرل للايبوخيه، وبعد وضعه لقاعدة الفينومينولوجيا الأساسية المتمثلة في التوجه الى الأشياء ذاتها، سينتقل هوسرل الى خطوة أخرى والتي هي الحدس المقولي، الذي "هو القدرة على إدراك العام والكلي المتضمن في المحسوسات من خلال عملية الإدراك الحسي..."[52]، وهذا الحضور للكلي هو الحدس المقولي، بحيث "أن هوسرل يوسع من مفهوم ودلالة الحدس ليشمل أيضا العام، إنه يتكلم عن حدس للمقولات وحدس للماهيات. إن الحدس عنده هو الكيفية يعطى بها الموضوع سواء أكان عاما أم خاصا بحيث يكون حاضرا هو ذاته أمامنا، بدمه ولحمه كما يقول"[53]، وهذا لأن عالم المعيش هو عالم البداهات الاصلية "والمعطى بداهة هو ما تتم في الادراك تجربته في حضور مباشر من حيث إنّه هو ذاته، أو في التذكر من حيث إنّه المتذكر هو ذاته، كل كيفية للحدس هي استحضار له هو ذاته"[54]، من هنا يبدو أن هناك علاقة تضايف بين

المعطى الذهني والمعطى الحسي، أي، بين المدركات الحسية والمدركات الذهنية، وفي خضم هذه العلاقة يظهر لنا الكلي باعتباره حدسا شاملا ومانعا، فالإدراك الحسي هو الذي يمدنا بالإدراك المقولي، والادراك المقولي أي الذهني هو الذي يمدنا بالإدراك الحسي، ومنه فقد أدرك هوسرل طبيعة هذه العلاقة المؤسسة للمعرفة، فالحدس مثلا عندما ندرك طائرة فإننا ندركها في كليتها وليس في أجزائها ومكوناتها، فنحن ندرك الطائرة دفعة واحدة، ثم بعدها ندكر تفاصيلها، وهذا الإدراك الكلي هو ما يسميه هوسرل بالحدس المقولي، وبالعودة إلى الادراك الحسي هو ليس مجرد تلقي للإحساسات الخارجية وفقط، بل هو عملية أخذ وإرجاع الموضوع إلى الوعي بغية تحليله وضبطه، بحيث يقول هوسرل "الحصول على شيء واقع أصلي والشعور البسيط به حدسيا والإدراك الحسي كل ذلك أمر واحد..."[55]، وأبعد من هذا فان الحدس المقولي لا يتوقف عند رؤية العالم الذي رأيناه من قبل وفقط، بل يتجاوز دلك الى رؤية عالم لم نراه من قبل أصلا، وهذا بالاستناد على فعل الرؤية المأخوذ من فكرة القصدية الفينومينولوجية، فالحدس هو دلك الفعل الذي يحمل الموضوع، وفي هذه الأفعال يحضر الموضوع نفسه، وهذا ما يشبه الرؤية التي تفترض حضور الموضوع نفسه[56]، ومنه يمكن استنتاج قيمة وأهمية الحدس في فينومينولوجيا هوسرل في كونه هو من يمنح ويعطي المعنى، أي، ينتج المعنى، من هنا تأتي ضرورة الحدس الهرمينوطيقية في كونه يساهم وبشكل مؤثر ومباشر في إنتاج المعنى بل وإعادة وهب هذا المعنى. لهذا اهتمت فينومينولوجيا هوسرل بكيفيات حصول المعنى من خلال انعطاء المواضيع للوعي وعلاقة هذه المواضيع به.

5. خاتمة:

لقد تأسست الفينومينولوجيا كمنهج له اسسه وقواعده مع هوسرل، فاتحة المجال لظهور العديد من الفينومينولوجيين المتفرعين عن المؤسس الفعلي لها، ولعل من أبرز هؤلاء نجد "مارتن هايدغر" الذي يشير في "الوجود و الزمان" إلى قيمة واهمية ما قدمته أعمال هوسرل الفلسفية وخاصة الأبحاث المنطقية منها كانت الملهم الرئيسي في التأسيس للفينومينولوجيا وللمنهج الفينومينولوجي، كما أن فينومينولوجيا هوسرل قد اسهمت اسهاما كبيرا في مجال البحث التأويلي من خلال طرحها لمسالة المعنى والتجربة المعيش، فاستطاعت ان تحدث تحولا كبيرا في مسار الفكر الغربي معيدة توجيهه نحو وجهة جديدة، وعليه يبقى التوجه نحو فلسفة المعنى هو أحد أكبر الاسهامات الفينومينولوجية التي قدمها هوسرل من خلال فلسفته الفينومينولوجية المبنية اساسا على فكرة القصدية التي تعمل على

الكشف عن طبيعة العلاقة بين الذات والموضوع، وهذا التوجه الفينومينولوجي الهوسرلي قد فتح افاقا جديدة في البحث الفلسفي خاصة مع مارتن هايدغر وهانز جورج غادامير اللذان سيحاولان استئناف المشروع الفينومينولوجي الهوسرلي الذي سيعمل هايدغر على التأسيس له بصورة أكثر وضوحا من خلال تأسيسه للفينومينولوجيا الهرمينوطيقية جاعلا من المنهج الفينومينولوجي سبيل البدء في تأسيس الهرمينوطيقا.

5. قائمة المراجع:

[1]) المرجع نفسه، ص 247.

[2]) سليم سلامة يوسف، الفينومينولوجيا المنطق عند إدموند هوسرل، دار التنوير للكباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ط، 2007، ص 10.

[3]) المرجع نفسه، ص 10.

[4]) إبراهيم أحمد، إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هايدغر، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2006، ص 50،51.

[5]) سليم سلامة يوسف، المرجع السابق، ص11.

[6]) المرجع نفسه، ص 11.

[7]) هوسرل إدموند، فكرة الفينومينولوجيا، تر: فتحي أنقزو، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط 1، 2007، ص27.

[8]) سليم سلامة يوسف، المرجع السابق، ص 11.

[9]) هوسرل إدموند، الفلسفة علما دقيقا، تر: محمود رجب، المشروع القومي للترجمة، ط2002،1، ص 103.

[10]) م م، حوار الفلسفة والعلم، سؤال الثبات والتحول، عبد القادر بودومة، المرجع السابق، ص 247.

[11]) Husserl Edmund, Idées directrices pour une phénoménologie et une philosophie phénoménologique pures, livre1, traduit de l'allemand par paul Ricoeur , paris, Gallimard 1978, p 09

[12]) هوسرل إدموند، فكرة الفينومينولوجيا، المصدر السابق، ص 77.

[13]) رافع محمد سماح، المرجع السابق، ص 100.

[14]) مصطفى عادل، فهم الفهم، مدخل إلى الهرمينوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 2003، ص 117.

[15]) معافة هشام، التأويلية والفن عند هانز جورج غادامير، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص 20.

[16]) معافة هشام، المرجع نفسه، ص 22.

[17]) جاسير دافيد، مقدمة في الهرمينوطيقا، تر: وجيه قانصوا، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف الجزائر، ط2007،،1، ص 94.

[18]) مصطفى عادل، المرجع السابق، ص49.

[19]) معافة هشام، المرجع السابق، ص 26.

[20]) ريكور بول ، صراع التأويلات، دراسات هرمينوطيقية، تر: منذر عياش، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2005، ص 38.39

[21]) بارة عبد الغني، الهرمينوطيقا والفلسفة، المرجع السابق،ص 196

[22]) بارة عبد الغني، المرجع نفسه، ص 198.

[23]) ب ريكور بول ، صراع التأويلات، المرجع السابق، ص 48.

[24]) المرجع نفسه،ص37.

[25]) ، من النص إلى الفعل، أبحاث في التأويل،تر:محمد برادة، حسان بورقية، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية،ط2001،1،ص31

[26]) المرجع نفسه، ص 19.

[27]) المرجع نفسه، ص 19.

[28]) قارة نبيهة، المرجع نفسه،ص40.

[29]) بول ريكور، من النص إلى الفعل، المرجع السابق، ص 21.

[30]) المرجع نفسه، ص 21.

[31]) بارة عبد الغني، المرجع السابق، ص 205.

[32]) غراندان جان، المنعرج الهرمينوطيقي للفينومينولوجيا، تر، عمر مهيبل، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط 2007،1،ص 43.

[33]) علي الحبيب الفريوي، المرجع السابق ،ص 44.

[34]) جان غراندان، المرجع السابق، ص 45.

[35]) Husserl Edmund, Idées directrices pour une phénoménologie et une philosophie phénoménologique pures,, op cit p 283

[36]) ريكور بول ، من النص إلى الفعل، المرجع السابق، ص 20.

[37]) المرجع نفسه، ص 59.

[38]) المرجع نفسه، ص 61.

[39]) Husserl Edmund, Ideas. General Introduction to Pure Phenomenology. Translated by Boyce Gibson (London: George Allen and Unwin, 1967), p.141

[40]) انظر هوسرل إدموند، فكرة الفينومينولوجيا خمسة دروس، تر، فتحي انقزو، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت، ط1، 2007، ص 23

[41]) غراندان جون، المرجع السابق، ص 49.

[42]) عبد الكريم شرفي، المرجع السابق، ص 104.

[43]) المرجع نفسه، ص 104.

[44]) غراندان جون، المرجع السابق، ص61.

[45]) هوسرل إدموند ،أفكار ممهدة لعلم الظاهريات الخالص وللفلسفة الظاهراتية،تر:أبو يعرب المرزوقي،جداول للنشر والتوزيع،بيروت لبنان،ط1، 2001،ص188

[46]) المصدر نفسه، ص 188.

[47]) هوسرل إدموند، فكرة الفينومينولوجيا، المصدر السابق، ص 66.

[48]) فتحي أنقزو، هوسرل ومعاصروه، من فينومينولوجيا اللغة إلى تأويلية الفهم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1،2006، ص 131.

[49]) Husserl Edmund, Ideas. Ibid, p. 110-111

[50]) Husserl, The Idea of Phenomenology, Translated by William Alston and George Nakhnikian (The Hague: Martinus Jijhoff, 1970), p. 40.

[51]) هوسرل إدموند، أفكار ممهدة لعلم الظاهريات الخالص وللفلسفة الظاهراتية، المصدر السابق، ص 86.87

[52]) Husserl Edmund, Ideas. Ibid, p 178

[53]) هوسرل إدموند، أزمة العلوم الاروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية، تر:إسماعيل المصدق، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان،ط2008،1 ص194.

[54]) هوسرل إدموند، المصدر نفسه، ص 209

[55]) هوسرل إدموند، أفكار ممهدة لعلم الظاهريات الخالص وللفلسفة الظاهراتية، المصدر السابق، ص 29.

[56])Husserl Edmund, Idées directrices pour une phénoménologie et une philosophie phénoménologique pures, livre I, op cit, p 456